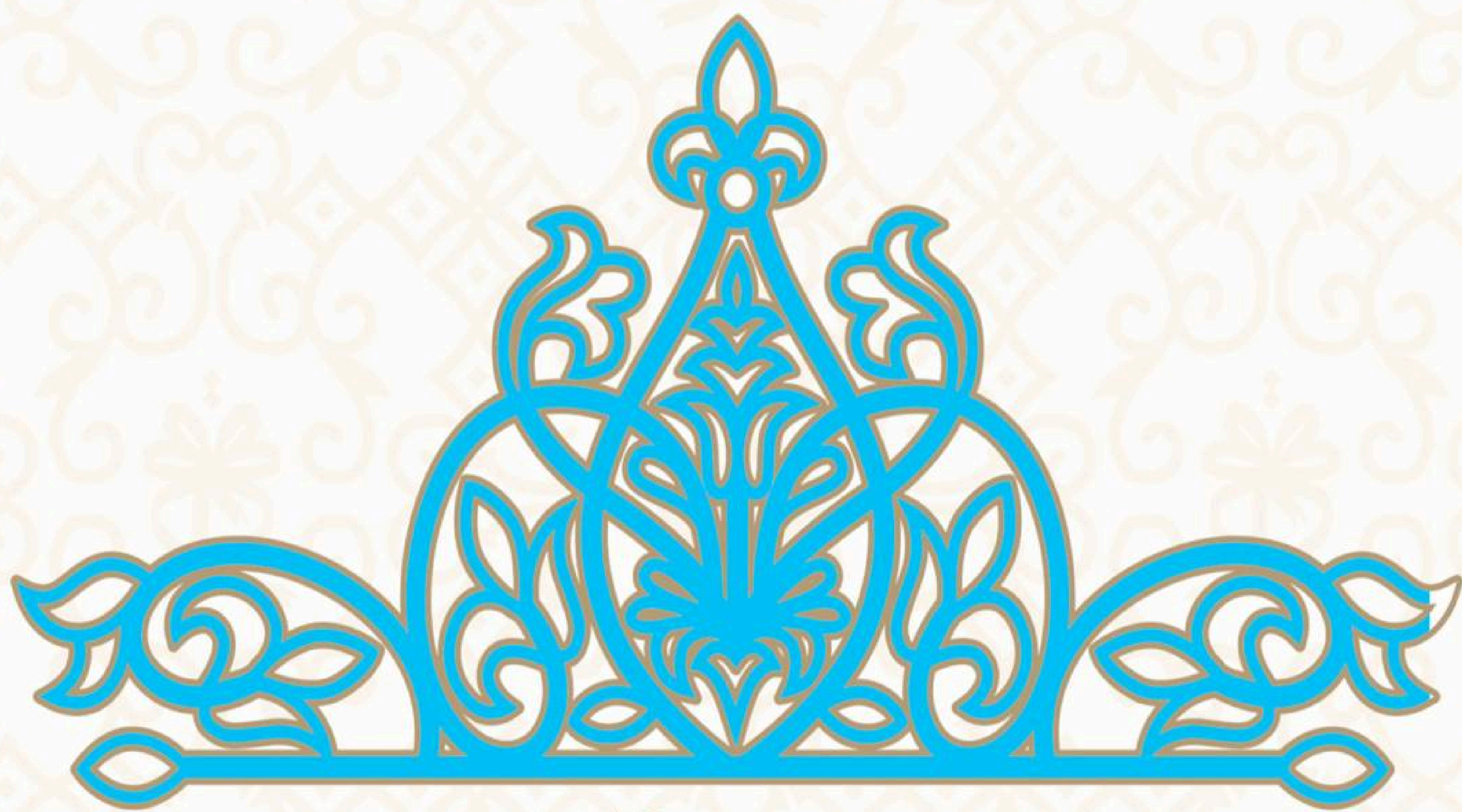




مجلد

لفہم مولنوعات القراء



أحمد بن علي البتيت



مقدمة

حصر:

حصرتُ خلال الأيام الماضية - في عملٍ بحثي - مواضيع القرآن الرئيسية؛ فإذا هي تقرب من ٧٥٠ موضوعاً رئيساً مباشراً، قد يكون في الموضوع الواحد أكثر من قضية . ولقد ذهلت خلال ذلك من أمرين،

■ الأول: دقة المواضيع وتركيزها واتساقها مع مقاصد السورة العامة.

■ والثاني: جمالية الانتقال والإقلاع من موضوع لآخر، بشكل بديع، وتناغم محكم، وتوطئة ممهدة، وخاتمة متسقة مع بداية أخرى جاذبة.

تأمل رو ابط الإقلاع اللفظية والمعانيّة فقط في مواضيع سورة البقرة، بل أوضح من ذلك تأملها في سورة الصافات، ستجد شيئاً يذهلك، ويجعل قلبك وعقلك يصيحان بنبرة تنحت في الصدر أثراً: تنزيلٌ من حكيم حميد.. هذه اللفات المختصرة ستكون كالمدخل لي ولك لتدبر موضوعات القرآن وقضاياها، وقد حاولتُ أن تكون مختصرة طمعاً في نظرك إليها، وهي نماذج فقط لما ستراه من اهتمام القرآن بقضايا وعناصره.

نفعنا الله وإياكم بكتابه، وأكرمنا بتدبره وفهم معانيه..

أحمد بن علي البتيت



﴿ التوحيد ﴾

القضية الكبرى التي نصب لها القرآنُ الدلائلَ المتنوعة وتناولها بطرقٍ شتى وأساليب مختلفة هي قضية التوحيد، والمتأمل في القرآن يجدها القضية الأولى على الإطلاق، فلا تكاد تمر أربع آيات أو خمس إلا وذكر دليلاً على التوحيد أو أشار إليه أو استنكر على مَنْ لم يحققه ..

وعلى هذا فقد ناقش القرآنُ هذه القضية وأدلتها مباشرة وغير مباشرة في أكثر من ألفي موضع منه، وضرب لها الأمثال الكبيرة والظاهرة.

إن التوحيد الصافي هو لبُّ القرآن، والقرآن يقرر أن مَنْ حققه فقد حقق معنى الحياة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [الذاريات:56] وحقق معاني الأمر والنهي ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:5]، وحقق النجاة في المعاد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48]



﴿ وضوح ﴾

الوضوح المطلق سمة عظيمة في القرآن، فهو لا يداهن في المبادئ، بل يفاصل أيما مفاصلة! ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:2]، ولا يتخرج من أحكامه ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر:5]، ولا تهمة الجلبة الإعلامية المعادية عن تقرير قواعده، بل يتخذها مستنداً وحيثية ومقدمة لمرسومه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ هنا السؤال الاستنكاري الاستهجائي الإرهابي، والجواب ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي مشكلة كبيرة، ثم بنى على هذه المقدمة هجوماً لاذعاً ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة:217] لا يستوعب بعضهم وضوح القرآن وصرامته من جهة، و تدرجه في إصدار أحكامه من جهة أخرى.



﴿ الخزي ﴾

يذكر القرآن الخزيين، الدنيوي والأخروي في سياقات كثيرة وهو يحذر المخالفين لمنهجه والمعاندين له، مع أن الخزي الأخروي هو الأهم والأنكى والأشد!

وذلك أنه يلفت إلى ضرورة اتباع مبدأ العقاب السريع لمن يتمادى في فساد.

ولو اتبعنا منهج القرآن، فسلطنا الاهتمام على تخزية المفسدين لارتدعوا

..



﴿ العلم ﴾

قضية العلم في القرآن قضيةٌ محورية، فهو يعرضها بطرق كثيرة جدا. من أبرز تلك الطرق إبراز اسم الله " **العليم** " ومشتقاته، " **عليم** " " **عليمًا** " " **يعلم** "، ثم يتبعه بالحكمة أو الخبرة أو السماع، وغيرها.

لقد أوردها القرآن كذلك في أكثر من مئتي موضع منه !
إن القرآن يضع العلم أول لبنة في جسر الصفات الحميدة، والقواعد المتينة، بل إنه يجعله أساس العدل والبناء الحكيم، البناء المادي المحسوس، والروحي المعنوي.
تأمل ذلك الاهتمام والاحتفاء بالعلم وأنت تتمتع بالتدبر..



﴿كسر﴾

يستخدم القرآن أسلوبًا لاذعًا وحادًا في توبيخ بعض السلوكيات وأصحابها، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالتوحيد والأوامر التي لا تُعلم حكمتها إلا بالوحي، ف "﴿مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:130]، هو من يرغب عن ملة التوحيد، وسيستنكر"﴿السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة:142]، عن اتخاذ قبلة جديدة، ومثله ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف:176]، مَنْ انسلخ عن آيات الله ومعرفته ليغوي الناس، ابتغاء المال، و﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة:5]، من يحمل العلم ثم ينكص عن موجباته، وهلم جرا .

إن ثمة سلوكيات لا بد من كسر صورة مرتكبيها، حتى لا يفتت المجتمع فيزاولها..



﴿ القصص ﴾

لم يسهب القرآن كثيرًا وهو يعرض قصصه مستغرقًا في التفاصيل، مع أنه يكرر القصص من زوايا أخرى في مواطن كثيرة منه ..
لويسر الله لك تتأمل مقاصد القصص ومراكز اهتمامها والبُقع الذي سلطت عليه الضوء؛ فسينفتح لك باب عظيم من الفهم..



﴿العقل﴾

خاطب القرآنُ العقل وهو يقرر حقيقة الحياة بعد الموت، لم يخاطب العاطفة أبدًا، وضرب الأمثال المتنوعة لتقرير هذه الحقيقة. فمن ذلك أنه خاطب عقولهم ليقيسوا إخراج الزرع وإحيائه بإحياء الأموات، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57]، وأن ينظروا أي الأمرين أشد ابتداء الصنع أم إعادته؟ ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، فكذلك الإحياء إعادته، وغير ذلك.

التصديق بالغيب كما أنه يقين قلبي، فإنه كذلك في الأصل عملية عقلية حسابية.



﴿ حرب ﴾

محاربة القرآن للمنكرات الصغيرة ليس ملفتًا أو ظاهرًا، وإنما بإشارات لطيفة خفية، إما في معرض ذكره للفضائل أو حين الامتنان على الناس بالعفو عن جميع ذنوبهم.

لكنه وبشكل بارزٍ وقوي يحارب الفساد الكبير والمنكرات المتعدية والكبائر، فيذكرها، ويسمّيها، ويذكر أحياناً أسبابها وسبل علاجها.

لذا، فما وجدته سماه وحاربه من المنكرات فهو كبائر، يهاجمها حتى لا تنتشر، فلا تظنها من صغير الفساد، بل هي من كبيره، كالحسد، والهمز واللمز، ومنع الماعون، والتطفيف في الكيل .. وغيرها.

ولو تأملتها في واقع الحياة لوجدتها أساس كل المشاكل المجتمعية.



﴿خيوط﴾

لا يُغلق القرآنُ الأبواب أمام الخاطئين والفسادين بل والمفسدين، وإنما يفتح لهم نوافذ مشرعة للرجوع والأوبة، ﴿فَمَنْ تَابَ﴾ ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ وهكذا!

لكنه يشترط في المفسدين خاصة شرطاً زائداً ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ، أي ما أفسدوه من حقوق الآخرين ومصالحهم. وذلك أنه دستور لبشر ذوي نزوات وآمال وطموح قد يسيل لعابها أو تنبت لها أنياب فتخرج عن لجامها، فيتوعدّها بصرامة وقوة، ويضيء لها طريق الرجوع للصالح والإصلاح بلطف وحنان!

لن تجد جرماً أو مجرماً إلا وقد مد له القرآن خيوط الأمل إن أحب أن يتعلق بها!



﴿إِلْحَاد﴾

لم تكن جريمة الإلحاد ذات حضور في القرآن إلا في إشارات خفيفة فقط، ولعل أوضح نص له فيها هو "﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾" [الطور:35].

إن الإلحاد حالة نادرة لا تصيب إلا من أوغلوا في السفه حتى النهاية متكئين على الماديات، ولم يكن لهم ظهور قديم، إذ النفس البشرية وغير البشرية مجبولة ومفطورة على وجود رب! الملحدون غير صادقين مع أنفسهم كذلك فهم مضطربون ليس لهم منهج مطرد.

لذا فقد ترك القرآن قضية الإلحاد لسقوطها الذاتي وعدم تقبل النفوس له، ومن يتقبل الفكرة ماديّ بحث في كون كله لا يتعامل بها، لذا فالانتحار أو الهلوسة أو التوبة هي نهاية كل ملحد!



﴿استعجال﴾

سجل القرآن حالة غريبة تعتري كل المفسدين، وكل الطائشين، وكل المجرمين، على تفاوت أزمntهم وإمكانيتهم، كلهم (يستعجل) وقوع الخطر والعقاب ويطالب به، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد:6]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت:54] ، ﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ﴾ [الشعراء:204]، وغيرها كثير.

والحامل لهم على ذلك متعدد، فبعضهم ناتج عن شدة تكذيبه، وبعضهم عن قوته فيظن أن لن تغلب، وبعضهم استخفاف وحمق !

إن العجلة صفة لازمة في المفسدين والمجرمين، سواءً حين يمشون في فسادهم وإجرامهم فلا يمهلون الضعفة والمظلومين، أو حين يستعجلون على أنفسهم وقوع الموعود.



﴿ عدل ﴾

أشاد القرآن بقيمة (**العدل**)، وحث عليها، وجعلها من المبادئ والقيم التي لا تخضع لاختلاف المعتقد " قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل:90]، أو لعلاقة القرب والبعد " قَالَ تَعَالَى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:135]، أو للخصومة والمواءمة أو المحبة والعداوة " قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَتَّعَدُوا﴾ [المائدة:8].

إن قيمة (**العدل**) هي أم القيم الأخرى، ولا معنى للقيم الأخرى أساساً إذا غاب العدل.

لقد ضمن القرآن العدل لكل ما دبّ، وأمر بالعدل مع كل ما دبّ، بغض النظر عن جنسه أو نوعه أو معتقده أو لونه أو أخلاقه.



﴿التزام﴾

شدّاد القرآن على أهمية الالتزام بالعهود والعقود والأيمان، ولا اعتبار لشكل أو مكانة أو ديانة أو جنس من أبرمت معه . وسواءً كانت صادرة من شخص أو جماعة أو الدولة كلها. ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد:20]، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الإسراء:34]، ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:91].

إن العهود والمواثيق والأيمان -غالبًا - التزاماتٌ أدبية، والدافع للوفاء بها دافعٌ معنويٌّ ذاتي، خاصة في حال القوة والمنعة. لذا كان اهتمامه بتعظيمها، والتحذير من نكثها ونقضها..



﴿قواعد﴾

القرآن دستور عام، اهتم بالخطوط العريضة والكليات الكبيرة التي تندرج تحتها جزئيات الخير والتحذير من الشر.

فما هو فيه من القواعد وإن بدت لك للوهلة الأولى جزئية إلا أنها في الحقيقة كلية عظيمة تندرج تحتها مصفوفة من القيم الصالحات ..

خذ مثلاً ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:7]، وهو الأمر الصغير يحتاجه الناس أو الجيران فيمنع. لقد نوّه القرآن عليه، وذم فاعله، وهي في الحقيقة قاعدة عظيمة قعدها القرآن في التعاملات الحياتية والمجتمعية. كم من البغضاء والتنافر والهجر ولّده منع الماعون؟!



﴿ أعدوا ﴾

مع أن القرآن احتفى بالسلام والسلم ودعا لهما، وحث أتباعه على العمل على إحلالهما إلا أنه نبّه كثيرًا على أهمية القوة والاستعداد للدفاع أو المبادرة، ﴿وَأَعِدُّوا﴾ [الأنفال:60]، ﴿وَحَرِّضْ﴾ [النساء:84]، ﴿وَقَاتِلُوا﴾ [البقرة:190]، ﴿وَجَاهِدُوا﴾ [المائدة:35].

بل لقد جعل القرآن أحد أسباب السلام هي القوة، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال:61].

إن القرآن شديد الوضوح في أنه يفرض على أتباعه " القتال " والإعداد له ضدّ مَنْ يقف أمام قوانينه حاجزًا أو منتهكًا لحرمة الملتزمين بقوانينه أو المنطوين تحتها ولو لم يؤمنوا بها.



﴿كرامة﴾

الكرامة الإنسانية بشكل عام قضية مهمة، اهتم بها القرآن، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:4]، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾
[الانفطار:7]، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]
، فحسن التقويم والتسوية والتعديل والكرامة لكل أحد ولا تميز فيها بأي
شكل من الأشكال.

ولو تأمل الإنسان تكريم القرآن له، ودعوة القرآن للمحافظة على كرامته
وحواسه وعقله لأدرك أنه لا يوجد دستور رفع من القيمة البشرية كما
فعل القرآن .



﴿ وأبقى ﴾

حقيق أن القرآن رغب على الحياة الدنيا وعمارتها واستعمارها وإقامتها بما ينفع في الشأن العام والخاص، إلا أنه وضّح بشكل لا لبس فيه أن ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [الأعلى:17]، خصوصًا فيما يتعلق بالفرد.

لأن الفرد غير المعني مباشرة بإقامة الحياة والعدل العام فيها لا يجب إلا أن تكون الحياة في حقه مزرعة للآخرة..
ولذا تكون حسرته الكبيرة ﴿ يَقُولُ يَكَلِّتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر:24]، يقصد حياة الآخرة، فهي الحياة الكاملة من كل وجه.



﴿ركائز﴾

أكثر القرآن من ذكر الصلاة والزكاة واليوم الآخر، وبين أهميتها وأعادها مرارًا وتكرارًا في سياقات مختلفة.

والصلاة هي الوحدة الرئيسة في بناء الروح، والزكاة هي الوحدة الرئيسة في بناء المجتمع، واليوم الآخر هو الوحدة الرئيسة في بناء الأمن.

وإذا تأملت في الوحدات الثلاث أدركت أنها ركائز الحياة الكريمة الآمنة للفرد والمجتمع ..



﴿سحر﴾

يسجل القرآنُ كذلك حالة تاريخية غريبة، فالمجرمون والطفلة والمفسدون دومًا ما يلمزون الحق وحملته بأنهم سحرة، يسحرون أتباعهم ويسحرون الشعوب!، وهذا يدل على قوة حجة الحق وحملته.

فلا يكاد يذكر القرآنُ نبياً إلا وذكر معه أن قومه اتهموا بأنه ساحر أو جاء بسحر، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:52].

واستفهم القرآن من هذه الحالة مستنكراً ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أي هل أوصى الطفلة بعضهم بعضاً بهذه التهمة؟ ثم قرر أنها حالة من تشابه القلوب والطفغان والفساد، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [تأمل الآيتين ٥٢، ٥٣ الذاريات].



﴿ ظلم ﴾

ذكر القرآن أنواعًا من الفساد والأعمال الإجرامية، إلا أنه جعل الفساد العظيم والذي يندرج تحته كل فساد هو الظلم، حتى أنه جعل الشرك بالله شيئًا من الظلم وجزءًا منه ونوعًا من أنواعه، ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:13].

وذكر الظلم وأنواعه ومشتقاته وصفات الظالمين وأعمالهم في أكثر من ١٥٠ موضعًا بالنص الصريح، ومئات المواضع بالإشارة والإيماء.

إنَّ أَسَّ كل جريمة وجريرة ونقص ومنقصة في الوجود أصلها الظلم، ولذا قامت السماوات والأرض بالعدل، وحرم الرب الظلم على نفسه وعلى مخلوقاته ضدَّ أيِّ كان، حتى لو كان في الأصل ظالمًا.



﴿تطفيف﴾

سلّط القرآنُ الضوء من خلال حكايته عن قوم شعيب على مشكلة قد يظنها بعضهم جانبيةً، ويستغرب من اهتمام القرآن لها والتحذير منها، وهي مشكلة التطفيف في الميزان حال البيع والشراء والتعامل، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الشعراء:181]، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الأنعام:152]، بل وأفرد سورة في ذات الشأن، وابتدأها بتهديد يخلع القلب، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [الذين إذا اكْتالوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ] وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:1-3].

إن التطفيف مشكلة خطيرة للغاية، تُخل بقيم المجتمع، وتضعف من اقتصاديات الناس، وتزرع بينهم الشكوك والأحقاد، فتتولد حالة من الاضطراب والتنازع الذي يخل بالأمن المعيشي. التطفيف حالة فساد بدائية في شكلها، لكنها غائرة في الإفساد في مضمونها ومجالاتها ونتائجها ..



﴿ حزمة ﴾

كان القرآن واضحاً في أنه حزمة واحدة، لا يقبل التبعض والتجزئ، وذلك في التصديق به وبوعده وأحكامه وقوانينه وديمومته، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 85]، فلا أن تقبل بعضه وتضرب بعضه.

لقد توعّد القرآن صاحب هذه الفعلة بالخزي والملامة في الدنيا قبل يوم البعث، ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: 85]، ولعلك تشهد هذه الحالة في كثير ممن يحاولون أن يعبثوا بالقرآن فيقتطعون منه ما يريدون وينبذون الآخر، فالخزي بادٍ على وجوههم ..



﴿ العفو ﴾

القرآنُ شجع على سلوك العفو، على جميع المستويات، للفرد ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:134]، أو للأسرة ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة:237]، أو للمجتمع ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور:22] أو للدولة ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران:159].

وذلك أن قيمة العفو عظيمة، وتشجع على ترك السلوكيات الخاطئة محض حبٍّ ومبادلةٍ سماحة.

والعفو هو الأسلوب الآخر الموازي من حيث القوة لأسلوب العقاب والردع للمخطئ، وكثير من الأشخاص يرتدع بالعفو عنه أكثر من ارتداعه بالعقوبة.

القرآنُ يبني السلوكيات النافعة ويشجع عليها، والعفو واحد من أهم السلوكيات الرئيسية التي تندرج تحتها مصفوفة كبيرة من القيم والأخلاق.



﴿عام﴾

يخاطبُ القرآنُ الجميعَ، الكل، لا يستثني فئة أو مجموعة أو عرقاً أو لوناً، وأوامره وأحكامه وقوانينه تصدر بصيغ العموم، ونداءاته للعموم، وما كان بخلاف ذلك فنادر جداً لسبب مهم اقتضى ذلك، لكنه ومع ذلك يفضي لمخاطبة المجموعة كلها، كالتعريض في الأمر للجميع في ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: 84]، فإنه تحميس للمؤمنين وإلهاب للحمية في قلوبهم.

وإلا فجميع خطابه وقوانينه للعامة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، ﴿لَا يَسْخَرُقُومٌ مِّن قَوْمٍ﴾، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾، ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.. وهلم جرا.

وذلك ليعلم الجميع أن القرآن للجميع، ويخاطب الجميع، ولا يخصص أحداً أو يستثنيه أو ينوه به. ومن جهة أخرى فإن الجميع أمام قوانينه متحاذين كما هم أمام خطابه.



﴿توكيد﴾

حيث المبدأ والعقيدة والوجود التوحيدي فإن القرآن لا يكتفي بالوضوح فقط، بل ويكرر ذلك الوضوح مرة أو مرتين أو ثلاث، سواء في سياق الموضوع الواحد أو في مواضع متفرقة .

سورة ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون:1-

2]، مثال وأنموذج للتكرار المهم القارع للقلوب والزاجر للنفوس التي قد تضعف أو تدهن أو تخجل أو تتنازل في قضية المبدأ والعقيدة والهوية .



﴿ حجة ﴾

يضع القرآن طريقة جدلية بالغة القوة والتهديد في آنٍ واحد لمن ينكر قواعده الصالحة وصلاحيته الدائمة ومبتداه وخبره.

إنّ هذه الطريقة غاية في التحدي، وهي مفزعة لمن تأملها، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

[فصلت: 52].

وليت الملحدون ومن في رأسه شك يتأملون هذا التهديد القوي والطريقة الجدلية العميقة.

إنه يقول لهم: ماذا لو كانت تصوراتكم عن القرآن خاطئة، وكان فعلاً - وهو كذلك - من عند الله، أليست خسارتكم حينها ستكون بالغة وغير معوضة أبداً.

وفي المقابل إن صدقتموه وعملتكم بما فيه فإنما تعملون بالصالح والرشاد الذي لن يضرركم منه شيء حتى لو لم يكن من عند الله!

هذه القوة في المحاججة سرٌّ خطير من أسرار القرآن، وقد استخدمها في مواضع عديدة، كلها تقريباً في لجم معانديه وتهديدهم بقوة.



﴿ تفاضل ﴾

لم يدعُ القرآن للتساوي والمساواة أبداً، بل ذم ذلك في كثير من الصور ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ [النساء: 95]، ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [المائدة: 100]، واستهجن وسخر من دعوى التساوي، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: 50]، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: 16]، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: 22]، إلى آخر ذلك في أكثر من عشرين نصاً فيه.

وإنما دعا القرآن لمبدأ العدل، والعدل يستلزم التفاضل، وحدد معيارين للتفاضل لا غير، هما الزكاء والذكا، زكاء الروح، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات 13]، وذكاء العقل، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

وقد جمع المعيارين للتفاضل والأفضلية في ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11].



﴿إنفاق﴾

لم يحث القرآن على شيء حثه على الإنفاق على المحتاجين من الناس، ولم يربط شيئاً بالجزاء بالجنة كثرة كربه الإنفاق ..

بل لقد قصر الفلاح عليهم في أكثر من نص فيه، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[التغابن:16].

إن القرآن وهو يفتح أبواب الجنة والجزاء للمنفقين لينسجم انسجاماً تاماً مع قوانين شريعته في الاهتمام باحتياجات الناس، ومراعاة الفقراء والمعوزين.

فنص على الزكاة حتماً، وحث على الإنفاق فضلاً، ومدح المنفقين كثيراً، وعاب البخلاء والمقتربين والممانعين وذمهم وانتقص منهم ..

كل ذلك في نصوص كثيرة منه، فتأملها، وتأمل ما أعلنه القرآن من عاقبة للمنفقين عاجلة، وهي الخلف والعوض والنماء، والآجلة وهي الجنة.



﴿حيثيات﴾

يسرد القرآن قصص الغابرين مع رسلهم، وجدالهم إياهم، وأحياناً يسرد القصة الواحدة مراراً وتكراراً من زوايا عديدة وجوانب أخرى، فقد ساق قصة موسى - مثلاً - مع فرعون وقومه ثم مع بني إسرائيل في أكثر من ٧٠ موضعاً فيه، وأسهب جداً كما في سورة الأعراف والبقرة ويونس والشعراء وغافر.

إن البشر هم البشر، وإن الأخطاء هي الأخطاء، لذا يدعو القرآن لتأمل جرائم تلك الأمم وأسباب هلاكها لتجنبها..

فالقرآن يذكر القوم، وأبرز جرائمهم، وأسلوب معالجتهم، والحلول النافعة، ثم يذكر كيف كانت نهايتهم عندما لم يخضعوا للحلول.

السرد القرآني للقصص حيثياتٌ لوقائع حكم قرآني سابق في قضايا وجرائم متكررة إلى يومنا هذا ..



﴿مسؤولية﴾

القرآن وإن كان يحمل مسؤولية الفساد والإفساد إلى كبراء المجرمين والمفسدين، ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرُ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: 123]، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: 16]، وغيرها من النصوص التي تحملهم عظيم المسؤولية إلا أنه - القرآن - لا يعفي الضعفة والعامّة من المسؤولية وتحمل التبعات..

لقد ذكر المفسدين وأتباعهم وجنودهم وجعلهم شركاء في الجرائم، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾

إن تحييد العوام والأتباع وادعاء أنهم لا يتحملون المسؤولية خطأ كبيرٌ يجعلهم يواصلون عماهم، ويستغفلهم كبراء الفساد لذلك.



﴿ دمع ﴾

القرآن لم يسكت عن أصحاب الشبهات والمروجين لها، بل دمعهم، ورد على شبهاتهم بعلو لا بخفض، ولقد كان يقرر - وهذه هي قوته - بأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:2] أبداً، وأنه ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس:57] من الشبهات والوساوس أبداً..

وطريقة القرآن في دمع الشبه وردّها فريدة، وقوية، وواضحة، وصارمة، فهو يذكر طرفاً من الشبهة فقط، ثم يقرر أحكاماً وقوانين ووقائع مسلّمة عند الجميع، ويسهب في ذلك، ثم يدحض الشبهة بنصٍ أو نصين في إيجاز شديد، ثم أخيراً يتوعد أصحابها بالهلاك ما لم يقلعوا !

تأمل كل ذلك - مثلاً - في شبهة ألوهية عيسى، وفي شبهة ادعاء أن الملائكة بنات الله، وفي شبهة اتخاذ الله ولداً، وفي شبهة قولهم ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وفي شبهة أن النبي أبتر، وفي شبهة أن الموتى لا يقومون للبعث .. وغيرها .

تأمل ذلك، فهو يقوي حجتك وينمي عقلك ومنطقك ..



﴿ لفت ﴾

أكثر القرآن من ذكر الليل والنهار، في عشرات النصوص، بحيثيات مختلفة ونتائج كذلك مختلفة، كما اهتم بذكر أدواتهما وهي الشمس والقمر، وذكر مناسبتهم للسبات والمعاش، وضرب بهما الأمثال لكثير من الحقائق، ودعا للعبرة بتقليهما وتعاقبهما..

وذلك للفت النظر إلى أمور، منها: الاهتمام بالظرف، وهو الوقت، وهو سر صناعة الحضارات، ومنها العبارة بالعد التنازلي لأعمار الأشخاص، ومنها أنهما ظرفا البناء والعطاء والطاقة والعبادة، وتقاس بهما كثير من الأحوال الفردية كعدة الحائض والمطلقة والمعتدة، والجماعية كالصلوات والشعائر، وأيام الدول والمجتمعات والحضارات.

القرآن يلفت عناية الإنسان للنظر فيما يتخلله من سكون وما يلحظه من معاش وصخب.



﴿ كنز ﴾

القرآن لا يقبل لأتباعه الضعف، ولا أن يكونوا في موقف شك، ولا أن يظنوا أنفسهم في مكانٍ دون ..

فلا ضعف أو حرج معه ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف:2]، ولا شقاء أو تعاسة به ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طه:2]، بل هو الرفع والذكر في أمور الحياة والغيب ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:44]، أي رفعة لكم وشرفٌ تذكركم الحضارات به.

إنه دستور خالدٌ عظيم، لم يقع قط في يدي شخص عاقل إلا واتضح له عظمته.

إنَّ على الفرد القرآني والجماعة القرآنية والدولة القرآنية والأمة والحضارة القرآنية أن يدركوا أن بين أيديهم كنزًا لامعًا، ومعجزة عظمي باهرة، ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾.

فهل نعي ذلك ونأخذ هذا الكتاب بقوةٍ تتناسب مع قوته؟!!



﴿ لا مجال ﴾

لا مجال عند القرآن للسخرية من العقيدة والمبدأ الكبير أو المساس منها بأي وسيلة كانت حتى لو كان مزاحاً أو على وجه اللامبالاة .. فهو حازم جداً في هذه القضية، وحاسم في التعامل مع من يتعدها، ويكاد لا يقبل العذر فيها..

فهو يهاجم بقوة ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ ﴿ [التوبة: 65-66].

وقد نص على عدم الجلوس مع من يتعامل مع العقيدة باستخفاف، ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: 140]، وأمر بالإعراض عنهم وتركهم " ، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: 68] وذلك أن الأمر خطير، ومجرد البقاء معهم إضعاف للمبدأ في قلبك أو قلب من يشاهدك..

وكم اغترب بعض الناس بسبب رؤيتهم لعالم أو مفكر وهو في حضرة سفهاء ..



﴿اهتمام﴾

اهتم القرآن كثيراً بموضوع الأموال، أموال الناس، وحذر من المساس بها والاقتراب منها تحت أي ذريعة ومن أي شخص، اعتباري أو عادي، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:188]، كما حذر تحذيراً بليغاً مخيفاً من التعدي على أموال الضعفة خاصة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:10].

وقد منع الربا تبعاً لحفظ الأموال، مع أنه صورة من صور البيع لولا ما فيه من تعدي لا يُجاز حتى بالتراضي، ونهى عن التطفيف لذلك، وحذر من جمع المال لمجرد تخزينه فقط، حتى ولو لم يُنفق في الحرام ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة:2]، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ [التوبة:34]

إن القرآن قد وضع قواعد التعامل المالي بكل وضوح، وبين أهم أسباب التعدي على الأموال ﴿وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَىٰ الْحُكَّامِ﴾ [البقرة:188].



﴿اليوم الآخر﴾

تسعون بالمئة من آيات القرآن الكريم تتحدث بشكل مباشر وغير مباشر عن اليوم الآخر! تعالج القضايا والصدور والنفسيات باليوم الآخر! ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝۱۱ ﴾ [العاديات].

اليوم الآخر قضية غابت عنا كثيرًا كثيرًا، للأسف .. وبسبب غيابها عن واقعنا ظهرت كثير من الأخلاقيات الفاسدة في جميع نواحي الحياة، الاجتماعية، والسياسة، والاقتصادية، وعلى مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع .. ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۶ ﴾ [المطففين].

